أغاني وردزورث في عدن

■ هشام علي

> في كتاب "الشرق هو الغرب" للكاتبة الانجليزية الشهيرة "فرياستارك" الذي تحدثت فيه عن مهماتها السرية الخاصة في الشرق الأوسط، في سنوات الحرب العالمية الثانية، التي بدأت في عدن وصنعاء وامتدت إلى مصر وفلسطين وسوريا والأردن والعراق، وكانت مهماتها تتفاوت بين الإعـلام والدبلوماسية في الظاهر، بالإضافة إلـى عمليات استخباراتية في الباطن.

في هذا الكتاب هناك فعل تتحدث فيه عن مهمتها في عدن، فقد استدعتها وزارة الإعلام البريطانية للحضور إلى لندن، حيث كانت تسكن في مدينة صغيرة بالقرب من فينيا بإيطاليا، وكلفتها بأن تكون نائبة لمدير مكتب الإعلام الذي سيفتتح في عدن، بالإضافة إلى إنشاء محطة للإذاعة، كان ذلك الأمر في زمن الحرب العالمية الثانية، وكانت مهتمها في عدن إنشاء خطاب إعلامي ودعائي مضاد للقوات الألمانية واليابانية والقوات الايطالية الموجودة على الشاطئ الافريقي، بالإضافة إلـى استقطاب تعاطف أهالي عدن إلى جانب بريطانيا التي تخوض حرباً عادلة، حسب قولها ضد ألمانيا وايطاليا واليابان.

هذا الفصل من الكتاب المتعلق بمهمتها فـي عـدن، حمل عـنـوان "سونيتات وردزورث في عـدن"، عنوان رومانسي جميل يتحدث عن مهمتها في عدن في السنة الأولى من سنوات الحرب العالمية الثانية.

ترى ما الـذي حملته فرياستارك في حقيبة أسفارها إلى عدن؟ لقد ذكرت أنها دخلت دورة خاصة مع مجموعة من زملائها في مكتب الخارجية الذين توزعوا على عدد من العواصم العربية، ليقوموا بمهمات خاصة في زمن الحرب، لا شك أنها حملت أوراقـاً وكتباً وصوراً تتعلق بمهمتها في مكتب الإعلام في عدن.

وقد دفعها مناخ الحرب المخيم على العالم أن تحمل أشعار وردزورث معها إلى عدن، لم تكن الرومانسية هي ما يجذبها، ولكن القصائد التي كتبها وردزورث في مطلع القرن التاسع عشر، أثناء الغزو الفرنسي لانجلترا.

وقبل أن أعـرض ما كتبته فرياستارك في هذا الفصل القصير من كتابها، أقف قليلاً للتعريف بهذه الكاتبة التي عاشت حياة حافلة مليئة بالعجائب، امتدت نحو مائة عام، قضت معظمها في بلدان الشرق، وتنوعت مهماتها بين المغامرة والاستشراق،

وقد أحاطت ظلال الشك بمساراتها في الشرق، وثارت كثير من الأسئلة عن مهماتها وعملها، حيث لم يكن بالإمكان ضبطها ضمن وظيفة أو تحديدها في مهمة معينة، وما يزيد أمرها التباساً أنها قامت بتنفيذ بعض الوظائف، لصالح الإدارة الاستعمارية البريطانية، وهو ما يجعل الشك يرافق حركتها في كل البلاد التي رحلت إليها. وربما لهذا السبب أطلق عليها بعض المحللين اسم "لورنسة العرب" في إشـارة إلى مواطنها المعروف "لورنس العرب" الذي لعب أدواراً مجهولة في الجزيرة العربية واختلط بقادة قبائلها وأشرافها في زمن الثورة مجلس العثمانين التي عرفت بالثورة العربية الكبرى.

كتبت فرياستارك عدداً من الكتب عن اليمن، لا سيما عن حضرموت وشبوة، حيث زارت حضرموت قبل سنوات من مهمتها الأخيرة في عدن من هذه الكتب: "البوابات الجنوبية لجزيرة العرب" و"مشاهد من حضرموت" و"شتاء في جزيرة العرب".

وصلت فرياستارك إلى عدن في الأشهر الأولـى من الحرب، وبـادرت العمل في مكتب الإعلام، الذي كانت مهمته تتحدد في مواجهة الدعاية والأخبار التي ثبتها إذاعات ايطالية من مناطق مختلفة في »عصب« و"أديـس" و"تعز"، بالإضافة إلى ما تبثه الإذاعة الألمانية ومذيعها العربي الشهير في برلين، وكـان يتم إذاعتها في مكبرات الصوت في بعض الأحياء، ويجتمع الناس للاستماع إلى أخبار تقدم الجيوش الألمانية في أوروبا وإلى ضرب لندن بالصواريخ.

كان مكتب الإعلام في عدن يصدر "نشرة يومية" تتضمن أخبار الحرب من وجهة نظر الحكومة البريطانية، بالإضافة إلى نشر بعض الكتيبات والصور عن بريطانيا، الهدف من هـذا العمل هو طمأنة أهالي مدينة عدن، الذين وجدوا أنفسهم في حالة حرب لا تخصهم، كان لا بد من ضمان التفاف الناس في عدن لدعم الحرب، بل لتقديم التبرعات للقوات الانجليزية التي تدافع عنهم وتدافع عن الديمقراطية والحضارة حسب زعمهم.

كذلك كانت مهمة المكتب، مواجهة حرب الاشاعات الإيطالية التي كانت تتسرب إلى عدن من تعز، حيث كان للايطاليين جهاز إعلامي يبث الشائعات عن هزيمة الانجليز في الحرب.

كانت ايطاليا قد أعلنت الحرب إلى جانب ألمانيا. وبدأت طائراتها وسفنها الحربية حرباً على الـقـوات البريطانية في البحر الأحمر، وقد استطاعت أن تحقق انتصارات في بداية الحرب، على القوات البريطانية وأجبرتها على الانسحاب من الأراضـي الصومالية، وبـدأت تفكر في الهجوم على القواعد العسكرية البريطانية في عدن.. وقد قامت الطائرات الايطالية بغارات جوية على عدن في سبتمبر 1940 م شملت مواقع عسكرية ومخازن الذخيرة ومحطة الكهرباء في التواهي ومواقع في كرتير الشيخ عثمان، وقد عرفت هذه الحرب باسم "حرب الطليان" التي جعلت أهالي عدن يعيشون حالة رعب في انتظار القنابل النازلة من السماء، لم تكن الملاجئ التي أعدتها حكومة عدن كافية ولا محصنة، لذلك هربت بعض العائلات إلى لحج وتعز ومناطق الحجرية، بينما بقيت الغالبية تحت القصف..وفي الجانب الآخر، عدن الأوروبية، غادرت العائلات الانجليزية ميناء عدن، وتصف فرياستارك المشهد قائلة : "أخذت الأوضاع الحربية اتجاها جديداً في ابريل 1940 م، حين دخلت ايطاليا الحرب، وبدأت طائراتها تقصف مواقع في مدينة عدن بدأت الأوضاع تسوء أكثر فأكثر، خرجت النساء الانجليزيات والفارسيات من عدن، ولجأن إلى مناطق أخرى أكثر أمناً، خارج عدن.

بدت شوارع عدن خالية، وكانت الشواطئ مليئة بالتحصينات العسكرية. كان المكتب الإعلامي يبث إذاعته لطمأنة أهالي عدن لكن إحساساً بالهزيمة كان يسود الجميع. وتستدرك. فرياستارك لتستثني الانجليز من هذا الأحساس بالهزيمة. فالهزيمة لا تحقق إلا إذا قبلنا بها.

أتوقف قليلاً عند هذا الحد من قصة »حرب الطليان« في عدن، كما روتها فريا ستارك. لأعود إلى شخصية عدنية ذكرتها فرياستارك في هذا الفصل، وكان لها دور في ترجمة »سونيتات وردزورث« إلى اللغة العربية.

تتحدث فرياستارك عن شاب عدني كان يعمل مترجماً وسكرتيراً لمكتب الإعلام الانجليزي في عدن، وكان يقطع يومياً بدراجته الهوائية مسافة خمسة أميال ليصل منزله في كريتر إلى مكتب الإعلام في التواهي. وكان يقضي يومه كاملاً في العمل المتقن. وفي أوقات الراحة. كان هذا الشاب يتحاور معها في بعض التعبيرات الشعرية العربية، خارج الترجمات المألوفة لأخبار الحرب.

أبدت فريا ستارك إعجابها بذلك الشاب المتأنق في شكله وفي عمله، وأبدت اهتماما خاصاً بقدرته اللغوية العالية. لم تكن الترجمة مهنة يقوم بها، بل كانت حالة من العشق، كما تقول ستارك. كان يشتق عبارات نثرية رائعة من أخبار الحرب اليومية التي كانت تتلقاها ستارك بالانجليزية. أخبار الغزاة والسفن الحربية، المعارك المحتومة في البحر الأحمر، السفن التجارية التي تحاول العبور وغيرها من الأخبار، كان يعيد ترتيب تلك الأخبار كل صباح بصورة شعرية عذبة، ليقرأها على مسمع فريا ستارك أثناء فطورها في شرفة المكتب كانت فريا ستارك تدرك القيمة الأدبية للترجمات الشعرية التي يقوم بها ذلك الشاب وقد تنبأت له بموقع مهم في المستقبل.

من المفيد أن أذكر أن ذلك الشاب العدني الذي كان يعمل مترجماً بمكتب الإعلام، وكان يقوم بتلك المحاولات الشعرية والنثرية الجميلة على هامش كتابته لأخبار الحرب والدمار، كان ذلك الشاب هو الشاعر علي محمد لقمان، الذي أصبح رمزاً كبيراً للشعر الرومانسي في اليمن، وكانت تلك الترجمات التي يقوم بها تمارين أولي في مدرسة الرومانسية، من المهم أن أذكـر أيضاً أن ترجمات وردزورث التي ستأتي على ذكرها، كانت متزامنة مع الشعر المنثور الذي بدأ في تلك الفترة من الأربعينيات التي صادفت قصيدة نازك الملائكة الشهيرة الكوبرا التي يقال إنها أول قصيدة في الشعر الحر.

نعود لمواصلة ما كتبته فريا ستارك عن عدن وعملها في مكتب الإعلام في زمن الحرب، تقول ستارك إنها كانت تواصل إصـدار النشرة الأخبارية عن الحرب، يساعدها في ذلك »علي محمد« هكذا كانت تذكر اسم علي محمد لقمان، وكانت الأمور تسوء بصورة متسارعة منذ إبريل 1940م ،كانت المدينة تكتسب لوناً رمادياً داكناً، وكان مناخ الخوف والبؤس يخيم على الجميع.

في حين كانت حصون أوروبا تتحطم، وكـان البحر الأحمر مغلقاً في وجه الملاحة التجارية، كان الهنود وأعداد كبيرة من الفرس بالإضافة إلى أعداد كبيرة من النساء الأوروبـيـات، وكانوا يغادرون عدن على ظهر السفن، بحثاً عن مواقع آمنة، أصبحت مدينة عدن على مرمى القذائف الايطالية، كان الاحساس بالخطر سائداً.. لا أحد يستطيع أن يمشي في الـشـوارع الخالية وحين انقطعت الأخبار الآتية في المركز لندن، بعد أن توقفت أجهزة الاتصال اللاسلكي التي لم تكن تحمل سوى أنباء الهزائم المتلاحقة للقوات الانجليزية في البحر الأحمر، أحست فريا ستارك أن أخبارها وما تحمله من مواد دعائية لم تعد تجدي شيئا، كانت أرتال الجنود المهزومين في شواطئ الدنكرك.. في بريطانيا تظهر أمامها وهي تقرأ »سونيتات وردزورث« التي كتبها في سنوات 1801 و 1806، كانوا يواجهون الغزو الفرنسي لانجلترا.. المشهد ذاته يتكرر اليوم وهي تسمع عن الهزائم في انجلترا وفي شواطئ البحر الأحمر، بل أن الهزائم كانت تقترب من مدينة عدن ولم يعد ممكنا بث أية أنباء مفرحة عن الانتصار.. تقول فريا ستارك إنها تساءلت ما إذا كان ممكنا أن تستهوي سونيتات وردزورث أهالي مدينة عدن في ذلك الزمن المليء بالرعب والخطر.. أعطت فريا ستارك تلك السونيتات لعلي محمد لقمان ليقرأها في منزله ويبدي رأيه أن كانت نافعة للنشر في تلك الأيام الكارثية، وفي صباح اليوم التالي جاء علي لقمان وعيناه تبرقان وقال بحماس: هـذه ترجمة اثنتين من السونيتات والبقية تأتي لاحقا، إنها أشعار تبعث الشجاعة في النفوس، كان عدد القراء بسيطاً في عـدن والمدن الساحلية المجاورة، ولذلك رأت طباعة خمس مائة نسخة من سونيتات وردزورث ،لكن مدير مكتب الإعلام في عدن قرر طباعة ألفي نسخة وكانت المفاجأة لقد نفدت تلك الطبعة بصورة كاملة وكان الناس يطلبون المزيد وتعلق فريا ستارك مؤيدة ما قاله علي لقمان لقد حملت أشعار وردزورث (الدنكرك) إلى قلوب العرب في عدن..

هكذا وصفت فريا ستارك مهمتها في عدن في السنة الأولى من سنوات الحرب العالمية الثانية، أنشأت مكتب الإعلام في المدينة، وافتتحت إذاعة عدن وقامت بنشاط إعلامي ودعائي مضاد للدعاية الايطالية والأخبار الالمانية.

وفي السياق تحدثت عن الشاعر علي محمد لقمان، ذلك الشاب اليمني الهادئ الذي كان يساعدها في الترجمة وأعمال المكتب وقام بترجمة أشعار وردزورث الرمانسية، كما ذكرت ما قدمه المكتب للصحافي والمحامي محمد علي لقمان، من أدوات الطباعة ومطبعة لصحيفة فتاة الجزيرة.

كانت فريا ستارك ترسم صورة عدن في زمن الحرب، ولكن بعين أوروبية غربية، هـذا هـو دأب الاسـتـشـراق والخطاب الاستشراقي، فالشرق صناعة غربية أو تأليف غربي كما يقال والحرب التي وصلت آثارها إلى مدينة عدن وأرعبت أهاليها وشـردت الكثير منهم لا يتم وصفها كما تحدث في عدن، لهذا يجرى الحديث عن الحرب في سواحل بريطانيا التي جرت في بداية القرن التاسع عشر، ينبغي استعادة أشعار وردزورث التي وصفت تلك الحرب في ذلك الحين، والغريب أن توزع سونيتات وردزورث ألفي نسخة في عدن، رقم يفوق بكثير ما يوزع اليوم من ديوان شعر أو رواية!

رئيس الهيئة العامة للكتاب:

دور نشر عربية جديدة في معرض صنعاء الدولي للكتاب

يجري حالياً في الهيئة العامة للكتاب بصنعاء استكمال الإعـداد لافتتاح معرض صنعاء الدولي للكتاب والذي سيقام خـلال الفترة من 25 سبتمبر الجاري وحتى يوم 6 اكتوبر القادم.

ومن المقرر أن يشهد معرض هذا العام مشاركة كبيرة لـدور النشر العربية وخاصة تلك التي لم تشارك من قبل، كما سيرافق المعرض مجموعة من الأنشطة الثقافية المتعددة والتي سيشارك في فعالياتها نخبة من الأدبـاء والكتاب والمثقفين.

وفي تصريح لـ(الثورة) أوضح الأستاذ عبدالباري طاهر، رئيس الهيئة العامة للكتاب أن معرض الكتاب لهذا العام سيشهد مشاركة نوعية لمجموعة من الدور اللبنانية والتونسية والمغربية والتي غابت خلال دورات معرض الكتاب السابقة لأسباب خارجة عن الإرادة والتي سيحتل الكتاب الأدبي والحداثي مساحة كبيرة من معروضتها.

وأشار إلى أن الهيئة العامة للكتاب قد تواصلت مع مختلف دور النشر العربية بدون استثناء من أجل المشاركة في معرض صنعاء الدولي للكتاب وعرض منشوراتها المتنوعة، وبهدف تميز معرض هـذا العام بـالـدور المشاركة ومنشوراتها الثقافية وإطـلاع القارئ اليمني على كـل جديد فـي حقول المعرفة.

وأضاف أن المعرض سترافقه فعاليات ثقافية متنوعة سيشارك فيها نخبة من الأدباء والمبدعين والمثقفين.

وقال الأستاذ عبدالباري طاهر أن هيئة الكتاب قد قامت مع الجهات المختصة باتخاذ العديد من الإجراءات الهادفة إلى تسهيل مشاركة الدور العربية وتذليل كافة الصعاب أمامها.

الوريث النقي

عبدالله علوان

خبر عابر نشرته الطريق
لم أصدقه .....!!!
كيف ولى وراح ....؟
مع الصيف غاب
خبر عابر ردده الرفاق
بالمداد المعدل بالدمع سال
على شاشة .....كان فيها الضياء
قال غاب القمر ...
بالحروف الحزينة عبر الصحف،
خبر بحروف الأسى والعزاء
الفتى بذرة في التراب
قال هذا الرفاق ...
الفتى الوحدوي
استضافوه للبوفيه
وهناك رأى بعض اصحابه
وصديق قديم
قيل احمد ابن الحسين ..
او حبيب ابن أوس
إذا لم يكن ابن برد ...
بعد ما قدموا وجبة يشتهيها الضياء
لقمةً .....رشفةً ...قهوة فاترةً ...
استراح الفتى،
بعدها وجد الاصدقاء محيطين به،
كان في مطعم [البحتري] ،
فاحتسى من كوؤس الربيع،
احتسـى مـا احتسـى،وتبختـر،حتى انتشى
وصديق قديم، يرشفه الشعر
ويرقبّه ألامدي ومعاني الطراز
صار مثل الندى،
الندى راح في نسفه أمداً
ثم كان الشذى،
الشذى فاح من جانبيه وفاح
الفتى البدوي
الندى والهدى
الذبيح الوريث
الضياء الشفيف
حملوه على عنق ايلول
بذرا شجي .....
دفنوه مع الظهر بذرا لأيامنا القادمة،
قرأ الاصدقاء بعض سيرته العطرة
ومواقفه النيرة
وقافية من مراثي الحسين
وهناك على صفحة من نهار الاحد
وسدوه التراب الحميم
بذرة في التراب لأيامنا القادمة
****
الفتى كان عذب الكلام
شعره اعذب من شعر (كنداء) و(طيٌّ)
وأعذب من نخلة ابن الحسين
كيف ولى الذبيح ....النجي،
الوريث النقي،
الضياء الشفيف،
والنسيم العليل،
كيف ولى ....وراح ...؟
****
فجأة قال بعض الرفاق
هبط الأمدي
وابن جني .... [وديوان ابن الحسين]
خبر عابر يا رفاق
كفنته الصحف ...
وبأسرع من بارق الصيف غاب
موسما غاب فوق الغمام
راح يزجي السلام
زاجلا كان في راحتيه الحمام
وزهور الوئام
إنما هو بذرتكم يا رفاق
الفتى صيفكم بذرة في [آزال]
وأنتم على قارعات الطريق
تنوحون :
مات الذبيح ...النجي
الوريث النقي
الضياء البهي
اعذب ما عندكم يا رفاق استراح
فالممات لنا ولكم راحة .....
والسلام.